المبحث الأول: مفهـــوم التغير الثقـــافي وأصوله وعوامله وعملياته

المطلب الأول: مفهوم التغير الثقافي

1 -تعريف:

هو عبارة عن التحول الذي يتناول كل التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة، بما في ذلك الفنون والعلوم والفلسفة وال تكنيك، كما يشمل صور وقوانين التغير الاجتماعي نفسه.[1]

المطلب الثاني: أصول التغير الثقافي

شغلت قضية التغير اهتمام المفكرين والفلاسفة الاجتماعيين ، ومن ثم تناولوا هذا الموضوع في سياق تفكيرهم العام في المجتمع . وقد برز اهتمامهم بهذه القضية من خلال تركيزهم على طريقتين أساسيتين في تحليل المجتمع والحضارة بشكل عام.

وقد تمثلت الطريقة الأولى في الدراسة المقارنة لمجتمعات وحضارات مختلفة . وتمثلت الطريقة الثانية في دراسة وتحليل المجتمعات بشكل عام . وقبل أن نتناول هاتين الطريقتين نشير لبعض النظريات القديمة في التغير حيث كان هناك نظرة قديمة تربط التغير بالإرتدادية وذلك ما أبرزه **وولسن واليز (Wilson.Wallis)** في كتابة التقدم والثقافة ، وكان ذلك هو الرأي السائد في بلاد المشرق القديم وذلك ما تضمنه كتاب الحكيم الصيني لاوتيس **(Lauties)** والذي عاش عام 600 ق.م، هذا فضلا عن ظهور أعمال أخرى إبداعية في بعض البلاد تؤكد على أن الإنسان عاش في الأصول في حالة سعادة تامة، وهذا هو المفهوم الذي ساد العصور الأولى.

ومن ذلك الحدث وفكرة الإرتدادية واضحة في كتابات وأعمال المفكرين. إلا أن ظهور رأي آخر في فهم التغير ، وإن كان أقل شيوعًا عن سابقه إلا أنه نشأ مصاحبًا له ، وهو يتمثل في أن تاريخ البشرية يسير في دورات ثابتة ، وطبقا لهذه النظرية يعيد التاريخ نفسه بعد أن يمر في سلسلة من المراحل ويرجع إلى المرحلة الأصلية ، ثم يبدأ الدورة ثانية.[2]

---

[1]-عبد الله الراشدان، علم الاجتماع والتربية، ط1، دار الشروق، عمان، 1999 م، ص. 255.

[2]-دلال ملحس إستيتية، التغير الاجتماعي والثقافي، ط2، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن –عمان، 2008م، ص. 80.

وقد تمسك بهذا الرأي بعض الكتاب الهنود فكان واضحًا في المذهب البوذي **(Buddhism)** وقد أشار ج. بيرى **(J.Bury)** في كتابه فكرة التقدم إلى أن ذلك المفهوم ظهر أيضا في تعليمات فلاسفة اليونان والإغريق ، وعلى وجه الخصوص عند الفيلسوف ماركيز إيداليز **(Marcusuralius)** تم واصل الفكر البشري مسيرته في تناول التغير و ظهر رأي قديم يستوضح مجرى التاريخ وهو ذلك الرأي الذي تعرض له نيوسمر **(Newellsims)** في كتابه مشاكل التغير حيث أسماه بفكرة الارتقاء **(Ideaofaccent)** وطبقًا لهذه النظرية التي نذر تداولها نسبيًا يأخذ التغير. مكانة في اتجاه تصاعدي إذ أن الإنسان يستمر في التقدم من الحالة البدائية حيث يصل إلى حالة التقدم حيث لا يتوقع تقدم بعده ولقد عبر عن ذلك في كتابات الإغريق الشعرية، وفي فلسفة الأبيقوريين، وفي أعمال الشعر الروماني وفلسفة.

لاكريس **(Lacrtius)** وبصورة عامة يمكن القول أن الاتجاه القديم في التغير كان اتجاها سلبيًا حيث تمسكوا بالرأي المتشائم وبأن التغير يؤدي إلى عوائق وخيمة. وفي القرون الوسطى عولج التغير متأثرًا باهتمامات الناس في تلك الفترة حيث كان اهتمامهم منصبًا على القوى الخارقة في توجيه التغير ومن ثم انحصر اهتمام الإنسان في فهم التغير على أساس معتقداته، وتصورات الأسطورية . والجدير بالذكر أن الاعتقاد الذي سادت تلك الفترة كان يشير إلى أن الأهداف الخاصة يحققها الله، وأن هذه الهداف سوف تتكامل في لحظة ما ، والعالم يمضي إلى المنتهى ، ويمثل هذا المذهب منتهى الارتدادية والتشاؤم ولم يكن فيه نقطة مضيئة سوى أمل الإنسان في وجود حياة سعيدة في المستقبل .

والجدير بالذكر هنا أن هذا الاتجاه لم يتضمن الفكرة الخاصة بأي القوى البيئية لها دور كبير في بلوغ الغاية.

ولقد لعب قادة الفكر دورًا كبيرًا في تطوير الاتجاه الحديث نحو التغير الاجتماعي، و قد كان من أبرز المفكرين العرب الذين تناولوا التغير العلامة ابن خلدون، حيث إهتم بعملية الإرتقاء الإطرارية و بتاريخ الإنسانية وبذلك مهد لفهم جديد لظاهرة التغير وفي مستهل العصور الحديثة عولج التغير بإعتباره اتجاها تقدميًا، ونظر إليه على إعتبار أنه تقدم مستمر، و كان ذلك واحدًا من الآراء التي شاعت في مستهل العصور الحديثة حيث نظر للفكر الإنساني على أنه قادر على تغير النظام الإجتماعي، وهذه النقطة الجديدة في الفكر البشري

تعكس الثقة المتزايدة في الفرد وإقتناعه بأنه سيد لمصيره. فالتغير الذي يعتمد في أي الإنسان أساسا على أثر من مصدر واقعي من بيئة، وعلى وجه الخصوص في العالم الطبيعي، رأي متفائل في التغير، ولقد إعتنق هذا الرأي عدد كبير من المفكرين المحدثين في القرن السابع عشر، فعرفه فرانسيس بيكون **(Francis Bacon)** بأنه تقدم مستمر، واستقر هذا المفهوم وأكثر وضوحًا في أعمال المفكرين الفرنسيين وعلى وجه الخصوص تيرجو وكوندرسية في القرن الثامن عشر، ثم توصل تيرجو إلى أن المجتمع الإنساني يأخذ في التغير التدريجي إلا أن اتجاه تغيره تقدمي دائمًا حتى أعلى المستويات، حيث يكون المجتمع البشري دائماً عاقد العزم للوصول إلى أعلى حالات كماله. [1]

وقد ذهب كوندرسية من قبل تيرجو معتقداً أن الكمال البشري غير محدود، وأن عمليات التطور والاطرادية سوف تظل في استمرار، في طريقهـــا الإطرادي بلا انتهـــــاء. كما أكد علماء الأنثروبولوجيا مراراً على حدوث التغيـــــــــــــــــــــر في المجتمعات البدائية. لكي يصححوا أخطاء نكرانهم لوقوع هذا التغيـــــــــــــــــــــــر، إذ ساد الاعتقـــــــــــــــــــــــاد بأن الإنسان البدائـــــــــــــــــــــــــي هو مخلـــــــــوق عادي **(Creat Ureof Habit)** يعيش طريقة حياة ثابتة تستمد ثباتها من ثبات الثقافة، ولا تعتريه بوادر الإلهام الضرورية للتطوير المستمر، ويرى نفسه إنسانا مقلدًا ...إلخ هذه هي الإعتقادات الواهمة عن هذا الإنسان، وفي هذا الشأن يقول سبنسر **(Spencer)** أن الإنسان البدائي محافظ إلى حد كبير، ولو قارنا الطبقات في أي مجتمع لوجدنا أن أدناها في التطور، هو أكثر مقاومة للتغير وبعداً عنه...وما يزال الجهاز العصبي بهذا الإنسان أقل قدرة على تعديل أسلوب الفعل ومن ثم يتجه بحكم التمسك غير الواعي والالتحام المعلن إلى الشيء المعروف الراسخ، والعناصر الثابتة، ويذهب (هنري مين **H.Maine 1953)** إلى" أن هناك أعدادًا من البشر يسمون بالمتوحشين أو المتبربرين... فترى حماسهم لأحداث التغير وهم لا يعرفون هذا ولم يسمعوا عنه...".

غير أن هؤلاء العلماء مع الأسف الشديد لم ترتكز أحكامهم على دراسات ميدانية تتخذ من الواقع نقطة انطلاق نحو صياغة النظريات والآراء العديدة، إنما لا بد من الاحتكام إلى

---

[1] – دلال ملحسن إستيتية، مرجع سابق، ص. 80-81.

الواقع. ولعل فرانز بواس هو الذي حمل لواء هذه الدعوة مع سائر أصحاب الاتجاه الانتشاري في دراسة التغير الثقافي.

ولذلك وجه هو – وغيره– الانتقادات الشديدة إلى الاتجاه التطوري كما سبق ذكره، ثم تلاه الوظيفيون الذين أكملوا الصورة العلمية بتركيزهم على قواعد منهجية بالغة الأهمية في دراسة التغير الثقافي وتناول موضوعاته، ويمثل هذا الاتجاه الجديد مالينوفسكي في منتصف القرن العشرين. وخلاصة هذه الآراء التوجيهات المنهجية تبقى تلاقي القصور السابق عند التطوريين والانتشاريين. [1]

ويمكن تحديد هذه الشروط والتوجيهات المرتبطة بدراسة التغير الثقافي فيما يلي:

أ- **أن التغير الثقافي ليس ظاهرة منعزلة:** وإنما ظاهرة عامة وشاملة في كل مجتمع وكل ثقافة اتسمت بالثبات أو الجمود وعلى ذلك ينبغي أن يقترن التغير بالثبات بأن نضع التغير على طرف والمحافظة الثقافية على الطرف المناقض له، ونبدأ بالدراسة.

ب- **الموضوعية في الدراسة بأن ينتزع الباحث الأنثروبولوجي نفسه:** ويجردها عن الثقافة التي يدرسها سواء في حالة الثبات أو التغير. وكما ظهرت ذاتية الباحث كلما ضربت الغشاوة على بصره فلا يستبين الخطأ من الصواب.

جـ- **ضرورة تفاعل دارس التغير مع الثقافة:** بنفس طريقة تفاعل الأعضاء المنتمين إليها، حتى تؤتى الدراسة ثمارها، فإذا ما تراءى له سيادة التثبيت الثقافي (**Cultural.Fiscation**)، وجب عليه أن يمر على التغيرات الثقافية مرور الكرام. وإذا كانت الثقافة تتسم بالتغير المتلاحم كما في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، حيث يلهث الناس وراء الجديد في كل شيء، ويسود الانجذاب الايجابي لهذا الجديد وقبوله، فإن دارس التغير يركز على العناصر الساكنة من الثقافة والتي تحد من آثار التغيرات التي تحدث بالفعل، وتعطي لطريقة الحياة طابع الاستمرار.

د –إذا التزم الباحث بالنظرة الكلية للثقافة: فإنه سوف يقف على الصورة الكلية للتغير والثبات من حيث المعوقات والمنشاطات. وعلى ذلك تتضاءل إلى حد ما العقبات التي تعترض طريق الباحث ويتمكن أيضًا من التعرف على صور الجنوح والانحرافات عن

---

[1] – دلال ملحسن إستيتية، مرجع سابق، ص. 82–83.

الثقافة والخروج إلى الرأي العام (Consensun's)، وعن حدود الأنماط السلوكية الراسخة. [2]

ه- تملي دراسة التغير الثقافي على الباحث أن يستوعب التنوع والتباين:

في الثقافة بشكل لا يقل استيعابه لتنوع وتباين الأنماط السلوكية، وبالتالي فإن هذه التنويعات في اللحظة الحاضرة هي التعبير عن التغير " في أثناء حدوثه" وغاية القول أن دارسي الثقافة قد ألوا معظم اهتمامهم نحو دراسة التغير أكثر من اهتمامهم بتحليل ودراسة الثبات، ويرجع ذلك إلى سببين رئيسين:

الأول: الإهتمام بالتطور التاريخي ولذلك تركزت البحوث والدراسات، دراسة الثبات في المجتمعات البدائية تأكيدًا النظريات التطور، وتدعيمًا لقضاياها.

الثانـــــي: سهولة دراسة التغير عن دراسة الثبات وهو سبب منهجي بحث مستمد من طبيعة المشكلة ذاتها.

وعلى ذلك فإذا كان أن نفهم مشكلات الديناميات الثقافية، فإن علينا أن نضع كلا السببين في الاعتبار مع مراعاة وجودهما في حالة تفاعل وحركة أيضًا... [1]

المطلب الثالث: عوامل التغير الثقافي

من خلال إهتمام علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا بدراسة التغير الثقافي ومعرفة مصادره، حظيت عملية التراكم الثقافي (Cultural accumulation) وكيفية حدوثها باهتمام خاص، إذا إفترضوا أن عملية التغير الإجتماعي تتم عن طريق عوامل داخلية كالإكتشافات والإختراع والتجديد، وعمليات خارجية كالإنتشار الثقافي والإستعارة ولا تحدث العوامل الخارجية إلا من خلال الإحتكاك الثقافي بين الثقافات وهذه العوامل هي:

1-الإكتشاف: (Discouvrires)

يعبر عن الإكتشافات (Discouvrires) بمحصلة الجهد البشري المشترك في الإع لان المبدع عن جانب من جوانب الحقيقة القائمة بالفعل. ومن محصلات الجهد البشري المبدع

---

[2] – نفس المرجع، ص.83-84.

[1] – دلال ملحسن إستيتية، مرجع سابق، ص. 83-84.

كالإكتشاف الرافعة مثلا، والدورة الدموية. ويعتبر الإكتشافات إضافة جديدة لمخزون المعرفة الحية للبشرية عبر تاريخها الطويل والممتد، ولا يصبح الإكتشاف عاملا محدثا للتغير الإجتماعي إلا بعد إستخدامه من قبل المجتمع. وقد يصبح الإكتشاف جزءًا من القاعدة الثقافية التي يستخدمها أفراد المجتمع عند إصدار حكمهم أو تقييمهم للممارسات الجارية. [2]

2 -الاختـــراع:

تتعدد تعريفات الإختراع **(Invention)** في تراث علم الإجتماع. و يرى علماء الإجتماع أن الإختراع لا يقتصر على الجانب المادي من الثقافة بل يتضمن بالضرورة لجانب غير المادي منها. ويرى وليم أوجبرن أن الإختراع مفتاح التغير الثقافي، وأن الثقافة ككل وليدة الإختراع. ويعرف ميرل **(Merrill)** الإختراع بأنه: « توليف جديد لسمتين ثقافيتين أو أكثر مع إستخدامهما في زيادة محصلة المعرفة الموجودة بالفعل ». ومن أمثلة الارتباط بين سمتين، إختراع جورج سلدن، **(Salden George)** في عام 1895 للمحرك الذي يحمل بالسائل والغاز معًا، وإختراع خزان وقود مشترك لهما، وإكتشاف صندوق التروس والقابض وعمود الإدارة للطاقة الميكانيكية، وتصميم هيكل يتسع لجلوس الأفراد، ثم يراوج بين تلك الإختراعات في إختراع جديدة هي السيارة. وقد قوبل الإختراع بالنقد الشديد وتقديم المخترع للمحاكمة لأن ما إكتشفه لم يكن مألوفا للثقافة السائدة في عصره. وبمرور الزمن وتطوير إختراع السيارة وشعبية إستخداما عالميا أصبحت جزءًا لا ينفصل عن الثقافة المعاصرة. وعندما وصف الإختراع بأنه وليد أفكار تربط بين عنصرين أو أكثر من عناصر الثقافة فإن ما يفسر عن عملية الإرتباط يكون مستحدثًا لم يسبق معرفته قبل إختراعه ويمكن أن نقسم الإختراعات إلى إختراعات مادية كالقوس والرمح، والهاتف والطائرة وإختراعات إجتماعية كالمؤسسات والحروف الأبجدية والحكومة الدستورية، وفي كل حالة من الإختراعات، يتم الإستفادة من العناصر القديمة والإرتباط بينهما و تجديدها بحيث تصبح صالحة لإستخدامات الجديدة. [1]

---

[2] – نفس المرجع، ص.85

[1] – دلال ملحس إستيتية، مرجع سابق، ص. 86

يتصف الإختراع بالإستمرارية كعملية تعتمد على خبرات ومعرفة متراكمة وعلى إختراعات سابقة، وفي هذا الصدد، قام (برلنجام **Burlingame**) بتحليل عدد من الإختراعات المألوفة وفق فترات زمنية متعاقبة بدءًا من مئات أو آلاف السنيين وكيف مرت الإختراعات خلالها بتطوير وتجديد من حيث المستوى والنوعية. وهذا يتفق مع ما ذكره (بارنت **1939 Barnett**) من أن الإختراع أو التجديد لا يأتي من فراغ، بل لابد لحدوثهما من يأتيان بخلفيات معرفية وإختراعات سابقة ومقدمات، بمعنى أنه كلما إزدادت عناصر الثقافة (من خلال عملية التراكم الثقافي) إزدادت الإختراعات، كما أن هذا التزايد يعبر في الوقت ذاته عن عملية التراكم الثقافي و كلما زادت الإختراعات زادت المادة المتاحة للإختراع.

3- الانتشـــار:

يشير تعرف الانتشار (**Diffusion**) للعمليات التي تنتج تماثلا ثقافيا بين مجتمعات متباينة، كما أن معظم التغيرات الثقافية التي تحدث في جميع المجتمعات الإنسانية المعروفة، وتتطور من خلال الإنتشار. وتتم عملية الانتشار بين مجتمع وآخر فقط، وإنما قد تحدث داخل المجتمع الواحد بإنتشار الخصائص الثقافية من جماعة لأخرى. فعلى سبيل المثال نجد أن السود في الولايات المتحدة الأمريكية هم أول من إشتهروا بموسيقى الجاز (**Jazz**)، وما لبث أن إنتقلت لمجموعات أمريكية أخرى ثم إنتشرت أخيرًا في مجتمعات غير أمريكية.

ويعتبر الانتشار عملية إنتقائية، إذ تقبل جماعة إنسانية بعض لخصائص الثقافية لجماعة أخرى مجاورة لها بينما ترفض البعض الآخر. تقبل مثلا بعض الأطعمة الهندية. بينما ترفض عقائدهم. كذلك يشتمل الإنتشار على بعض عمليات التطور أو التعديلات للعناصر الثقافية التي تتم إستعارتها، علما بأن التعديلات قد تحدث خلال عملية الانتشار، إما في عنصر أو في العناصر الثلاثة وهي: الشكل، والوظيفة ، والمعنى لكل سمة من سمات الثقافية.

ويميز معظم علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا بين ثلاث عمليات منفصلة للإنتشار هي:

- **الانتشار الأولي:** وهو ما يحدث من خلال الهجرة، وأوضح مثال على هذه العملية التغيرات التي حدثت في الثقافة الأمريكية جراء هجرة أعداد كبيرة من الأفراد للولايات المتحدة الأمريكية مع بداية القرن العشرين.

-**الانتشار الثانوي:** تشتمل هذه العملية على النقل المباشر لعنصر أو أكثر من عناصر الثقافة المادية كنقل التكنولوجيا من العالم المتقدم إلى العالم النامي.

-**الانتشار الأفكار:** قد تحدث هذه العملية دون هجرة مباشرة، أو نقل لعناصر تقنية، إلا أنها تحدث تغيرات ثقافية كبيرة. ومن أمثلة إنتشار الأفكار، الدعوة للحرية، والمساواة وحقوق الإنسان، وما تنادي به الثورات الإجتماعية والسياسية من أراء وفلسفات تأثرت بها مجتمعات كثيرة.[1]

ولعل ظاهرة الإنتشار **(Diffusion)** من الظواهر التي حظيت بنصيب كبير في علم الإجتماع الثقافي، لأنها تتعلق بحركتها الخارجية، وقد ثبت أن أكثر التغيرات تفد إلى الثقافة من الخارج، ولهذا فإن المناطق الجبلية والجزر المنعزلة ذات حظ قليل من التغير الثقافي. وإذا كانت بعض خصائص الثقافة كالنمو والإستمرار والتراكم. [1]

تمثل « الإنتاج » فإن الإنتشار يمثل « التوزيع » وهو ما يميز الثقافة المعاصرة التي أصبح الانتشار أحد أبرز خصائصها ومكوناتها الذاتية، بما إبتكرته من وسائل الاتصال الحديثة والتي تجاوزت عوائق الزمان والمكان التقليدية.لا شك في أن آلية الإنتشار الثقافي قد فتحت الباب منذ زمن لمسألتين بالغتي الدقة:

<u>الأولى:</u> تتعلق بالموقف من الثقافات الأخرى وكيفية استقبال المجتمع للعناصر الثقافية الجديدة الوافدة. وما هي الصور التي تدخل بها العناصر الجديدة إلى مجتمعات الأخرى؟ أتكون عن طريق القهر أم التقليد أم الإعارة؟ أم عن طريق الانسياب من خلال الإقناع والقدوة؟ وبين القبول والممانعة ترتسم هوية جديدة.

<u>الثانية:</u> تتعلق بوسائل الانتشار نفسها، فقد كانت الهجرات والحروب والتجارة من أهم الوسائل.

---

[1] – دلال ملحسن إستيتية، مرجع سابق، ص. 87-88.

[1] – عبد الغني عماد، <u>سوسيولوجيا الثقافية المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة</u> ، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، 2006م، ص.118.

والمعروف تاريخيا، أما الآن فقد تغير الموقف وأصبحت الثقافة في عصر العولمة أكثر قدرة على الإنتشار. فإنتقال المعلومة وحركة المعرفة أصبحا أكثر يسرًا بما لا يقارن مع ما كان يجري في القرون الماضية. [2]

ومما هو جدير بالذكر، أن عملية الإنتشار كانت محل جدل ونقاش علمي جانب علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا، فمنهم من أرجع التشابه بين السمات الثقافية إلى إنتشارها، وعرف أصحاب هذا الإتجاه بعلماء المدرسة الإنتشارية، ومن العلماء من أرجع التماثل إلى التشابه في البيئات الإجتماعية المتماثلة ثقافيا وعرف أصحاب هذا الإتجاه الأخير بعلماء المدرسة التطورية. [3]

من خلال تتبع أثار السمات الثقافية عبر التاريخ، لاحظ الباحثون أن إنتشار الثقافة لا يقتصر حدوثه على الجماعات الأقل تحضراً، بل يحدث التبادل الثقافي بين المجتمعات بغض النظر عن درجة تحضرها. كما قد يكون الإنتشار مباشراً أو غير مباشر، ويحدث الإنتشار المباشر عندما يتم الإحتكاك المادي الحقيقي بين الأشخاص والجماعات إحتكاكًا ماديًا فعليًا. ويوضع هذا الشكل الإنتشاري عمليات الهجرة أو الإستعمار والإحتكاك من خلال التجارة والبعثات التبشيرية.

أما الإنتشار غير مباشر: فيحدث دون وجود اتصال فعلي مادي بين الأشخاص أو الجماعات، إذ يتم عن طريق وسائل الإعلام كالمذياع، والتلفاز والسينما، والصحافة، والمجلات، والسلع المنقولة، تعتبر الإستعارة الثقافية **(Cultural Borroung)** نوعا من أنواع التجديد الثقافي الذي يعتمد على الاتصال بين المجتمعات من خلال أساليب متعددة كالحرب، والزواج، وطلب العلم، والمؤسسات التعليمية كالجامعات، ووسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة. ونتيجة الإتصال الثقافي يستعير المجتمع بعض العادات الإجتماعية التي توجد في مجتمع آخر، وقد يستعير المجتمع نمطا ثقافيا كاملا أو جزءاً من كل ما هو ثقافي. وعندما تحدث الإستعارة الثقافية فإنها لا تشمل بالضرورة الشكل والمضمون معًا للعنصر الثقافي المستعار، كما أن السمة المستعارة تخضع لمفاهيم المجتمع المستعير الذي قد يغير في

---

[2] – عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص. 119.

[3] – دلال ملحس إستيتية، مرجع سابق، ص. 88.

الشكل أو المضمون، أو في كليهما وعلى صعيد آخر، قد تفضي الإستعارة الثقافية إلى إحداث أفعال مضادة تؤدي بدورها إلى أحداث تغيرات اجتماعية جديدة، لذلك إذا قلنا أن التغير الناجم عن الاتصال الثقافي غير قابل للارتداد. (1)

فذلك لا يعني أن الثقافة التي استعارها مجتمع ما، سوف تدفع به نحو مزيد من التشابه الثقافي مع المجتمع مصدر السمة الثقافية المستعارة.

4-وسائل الاتصال الإعلامي:

عندما تتيح التقنية الحديثة لوسائل الإتصال الإعلامي- في ظل ثورة المعلومات - مختلف صفوف الأدب والموسيقى والدراما والعلوم المتنوعة الأخرى لإعداد متزايدة من أفراد المجتمعات الإنسانية، فإن القياسات الفكرية والذهنية السائدة تأخذ في التحول بشكل ملحوظ. فقد أصبح توجيه الثقافة الجماهرية حديثًا نحو تسلية وإمتاع أعداد متنامية من الأفرادـــ، صناعة كبرى هامة تستثمر خاصة من قبل المجتمعات ذات السبق والتقدم التقني في هذا المجال، والتي تصدر صناعاتها لمجتمعات أخرى، مما يزيد من سرعة الإنتشار الثقافي.

وإذا كانت وسائل الإتصال الإعلامي تؤثر في زيادة التثقيف وتنوع المعرفة لدى الجمهور فإن مضامين المادة الإعلامية بما تحمله في طياتها من سمات ثقافية قد تهدد نسق الثقافة التقليدية كما تحدث تغيرات ملموسة سلوكيات الجمهور.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تطور وسائل الإتصال الجماهيري ووسائل النقل كالطائرات والسيارات، قد أثر بشكل واضح في تطور الثقافة وإنتشارها، وفي اتجاهات علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا في دراسة التغير الثقافي، إذ قامت المحاولات العلمية المبكرة في رؤيتها للإنتشار الثقافي على فكرة المراكز الثقافية وإنتشار الثقافة منها إلى مناطق أخرى، وأن يأخذ الإنتشار شكل دوائر أشبه بدوائر الماء حين نلقي فيه حجراً، وكان ذلك يعني أن الثقافة تنتشر في دوائر منتظمة بمعدل ثابت السرعة وفي وسط متجانس. واستشهد العلماء على صحة زعمهم من خلال تتبعهم لآثار إنتشار السمات الثقافية عبر التاريخ من الحضارة الفرعونية – أول مركز ثقافي عرفته البشرية – إلى الفينيقيين شرقًا وقرطاجنة غربًا، ثم

(1) – دلال ملحس استيتيه، مرجع سابق، ص. 88 –89.

انتشارها عبر البحر إلى مالطة، وكريت، فاليونان التي استعارت الكثير من السمات الثقافية الفرعونية. كذلك استعارت الدولة الرومانية –عقب قيامها – الكثير من السمات الثقافية الإغريقية، حيث يعتبر الفكر الروماني امتداداً للفكر اليوناني. كما تتبع العلماء انتقال الكثير من السمات الثقافية العربية إلى أوربا التي عرفت أفكار الفارابي، والكندي، وابن سينا، وابن رشد، كما انتشرت سمات عربية عن طريق التجارة والحروب بين الأندلسيين الفرنجة. [1]

بيد أن التطور التقني المذهل في مجالات الإنتقال والاتصالات الإعلامية بإستخدام الأقمار الصناعية يجعل العالم أشبه بقرية إليكترونية، ويضعف من مصداقية الزعم بالإنتشار الثقافي القائم على المراكز الثقافية، إذ تدخل وسائل الإتصال الحديثة كعامل قوى التأثير في عملية الإنتشار الثقافي.[2]

---

[1] – دلال ملحس استيتيه، مرجع سابق، ص. 89 – ص.90.

[2] – نفس المرجع، ص.90 –91.